

مدينة قرطبة في الشعر الأندلسي

د / فتحي أبو مراد

جامعة البلقاء التطبيقية

كلية الحصن الجامعية - الأردن

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة استكناه صورة مدينة قرطبة، كما صورها الشعر الأندلسي، والتعرف على خصائصها الحضارية والعلمية والإيمانية والطبيعية، بين طرفي ثنائية ضدية تفيض بكثير من دلالات السخرية والألم والتفجع واجترار الذكريات الجميلة الدائرة . تمثل طرفها الأول في صورة المدينة بوجهها المشرق الوهاج قبل سقوطها، وتمثل طرفها الآخر بوجهها المظلم القائم بعد سقوطها، وأقول مجدها وغروب شمسها .

إنها محاولة لاستقراء هذا الشعر من الداخل، ورصد بنياته الدالة على المدينة وتجلياتها المختلفة، كما تراءت في وعي أهم الشعراء الأندلسيين، أمثال : ابن حزم، و ابن شهيد، و ابن دراج، و ابن زيدون، وغيرهم

مقدمة

تحاول هذه الدراسة المتواضعة استقصاء صورة قرطبة، كما تراءت في مرآة الشعر الأندلسي . وقد تمحورت الدراسة في ثلاثة محاور : تناولت في الأول صورة قرطبة قبل خرابها واشتعال الفتن في أرجائها، فبدأت المدينة في هذه الصورة من أجمل مدن الدنيا. ووصف الشعراء طبيعتها وجمالها وقيمها المادية والمعنوية، وعناصرها المتشكلة فيها. وقد شبه الباحث قرطبة في هذه المرحلة من الدراسة بفتاة كانت تتمتع بقيم جمالية وإيمانية وحضارية وعلمية مختلفة قد وهبها الله عز وجل إلى قرين لم يحسن المحافظة عليها وصون عفتها، فبطر بنعمة ربه، وأساء تدبير أمره وأمرها، فطمع الذي في قلبه مرض، فتطاولت الأيدي إلى فئاته، فاستبيح العرض، وانتهك الشرف ... واستحالت فتاة الأمس وعروسه المصون إلى عجوز زانية ... (على حد تعبير ابن شهيد) . وهنا نستشرف الوجه الآخر لقرطبة، أعني صورة قرطبة بعد سقوطها وخرابها على يد البربر، وما آلت إليه

أحوالها وأحوال أهلها من تقنيل وتعذيب وتشريد . وقد شكل هذا المحور الثاني من الدراسة .

أما في المحور الأخير فقد حاول الباحث استشفاف صورة المدينة كما تجلت في وعي بعض شعرائها أمثال : ابن حزم وابن درّاج وابن شهيد وابن زيدون وغيرهم، وتلمس الآثار المنعكسة في وعيهم إثر سقوط المدينة، فتراءى الشاعر الأندلسي موزعاً بين الماضي السعيد لمدينته، والحاضر الأليم، وما رافق ذلك من أحاسيس ومشاعر ضجبت في حناياه ومنعرجات نفسه، فوقف أمام هذا الواقع الجديد المؤلم مشدوهاً مذهولاً لا يكاد يصدق ما آلت إليه حال مدينته، فانكفاً على نفسه مستغرقاً في تأملاته، وقد أثقلته صورة الماضي المشرق، فراح يجترّ ذكرياته ويتفجّع عليها بأنغام تصدح بالموت والفناء .

وبعد : يحضرني في هذا الموضوع قول العماد الأصفهاني : (إني ما رأيت أنه يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر) . فهذا حال المرء نفسه حيال إنشائه، وصنع فكره، فما بالك إذا ما تناول الآخر إنشاء غيره، وعرضه على مرآة نفسه وصفحة روحه وفكره !؟ .

وأخيراً : فإن كنت قد أصبت بعض ما أرنو إليه، فذلك فضلٌ من الله ونعمة، وأما دون ذلك فحسبي أني حاولت ...

قرطبة : الوجه المشرق

تعد مدينة قرطبة من أهم المدن الأندلسية وأكثرها جمالاً وأهمية، قال عنها ابن حوقل حين زارها (٣٢٧ هـ) " هي أعظم مدينة بالأندلس، وليس بجميع المغرب لها عندي شبيه، ولا بالجزيرة والشام ومصر وما يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة، وفسحة أسواق، ونظافة محال، وعمارة مساجد، وكثرة حمامات وفنادق " (١) . وانمازت قرطبة ببياض أبنيتها وسط ما يحيط بها من حدائق وطبيعة خالية، مما دفع أحد الشعراء لوصفها بقوله : " غانية في أحضان خصي أسود " (٢) . ومما انمازت



عضو أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة

مدينة قرطبة في الشعر الأندلسي

الدكتور

فتحي أبو مراد

جامعة البلقاء التطبيقية

كلية العنبر الجامعية - الأردن

الثقافة والتنمية العدد السادس والعشرون يوليو ٢٠٠٨م

به أيضاً طابعها الإسلامي المميز، لاسيما مسجدها الكبير ودوره العلمي المعروف، وكذلك مكتبتها المشهورة حتى أضحت قرطبة تتنازع بغداد في الزعامة الفكرية في العالم الإسلامي، وكذلك شهدت سيلاً من التأثيرات الحضارية العراقية في الفنون والأدب في عصر عبد الرحمن الأوسط. وكان لدخول زرياب إلى قرطبة (سنة ٢٠٦ هـ) أثر في نقل الحضارة العراقية إلى الأندلس^(٣).

وقد استلهم الشعراء كل هذه المعاني وغيرها وصوّروها في شعرهم أبدع تصوير، وقد استأثرت مدينة الزاهرة بحظ وافر من هذا التصوير، وفيها يقول صاعد اللغوي :

- أما ترى العينَ فوقَ مرمِرها هوىً فتُجْري على أحفافها الطربا
- أجزيتَها قطما الزاهي بجريتها كما طموت فسدت العجم والعربا
- تخالٌ فيه جنودُ الماءِ رافلةٌ مستلزماتُ ثريكِ الدرعِ واليلبا
- تحفُّها من فنون الأيك زاهرة قد أورقت فضة إذا أورقت ذهباً
- بديعة الملك ما ينفك ناظرُها يتلو على السمع منها آية عجباً
- لا يُحسِنُ الدهرُ أن ينشي لها مثلاً ولو تعتت فيها نفسه طلباً (٤)

فالشعراء الأندلسيون كانوا يعتزون بمدينتهم، ويرون فيها المثل الأعلى في الدين والجمال والعلم والحضارة، وبوحي من هذا وصفها القاضي أبو محمد بن عطية بقوله :

- بأربعِ فافتَ الأمصارَ قرطبةً وهنَّ قنطرة الوادي وجامعها
- هاتانِ ثنتانِ، والزهرانِ ثالثةٌ والعلم أكبر شيء وهو رابعها^(٥)
- حتى أن بعض الشعراء كان يرى أن مدينته قرطبة أعظم مدينة في الدنيا بأسرها، فلا تضاهيها مدينة أخرى : عربية أو أعجمية، ومن ذلك قول أحد الشعراء :
- دع عنك حضرة بغداد و بهجتها ولا تعظم بلاد الفرس والصّسين
- فما على الأرض قطراً مثل قرطبة وما مشى فوقها مثل ابن حمدين^(٦).

كانت قرطبة تعيش في ضمير الشاعر الأندلسي، ومهما شرق أو غرب يظل نبضها يخفق في فؤاده، وحبها يمور في خبايا نفسه، حتى أن النسيم القادم منها ينعشه

ويشجيه، مهما بُعدَ عنها، ولهذا فقد ألح الشاعر الأندلسي على بقاء مدينته حية مخررة ترفل بأنواب الطبيعة الندية، من هنا نراه يمعن في طلب السقيا، واستمطار السماء لها ومما يوحى بهذه المعاني ما ترويه المصادر من حكاية الشاعر الأعمى أبي بكر المخزومي، وقد كان بعيداً عن مدينة قرطبة، فمرَّ به بعض القادمين منها فقال لهم: أقربوا إليَّ أستم نسيم قرطبة، ففعلوا وفعل هو، وقال هذه الأبيات (٧) :

- أقرطبة الغراء هل لي أوبة إليك ؟ وهل يدنو لنا ذلك العهد
- سقى الجانب الغربي منك غمامة وقعقع في ساحات دوحاتك الرعد
- لياليك أسحاراً، وأرضك روضة وثربك في استنشاقها عبرَ ورد
ومن الشعراء الذين استلهموا معاني السقيا ودلالات المطر : الوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن مسلم في هذه الأبيات (٨) :

- سقى جديداً من الأيام قرطبة
- وفقاً يمدُّ الندى في روضه شرقاً
- كأنه فيه والإمساء يبسطه
- حتى إذا شيبَ كافورُ الصباح به
- وبين هذين من لين ومن لطف
- لليل فيه سواد يستهام به
- وللنهار سناً يحكي تبالجأة
- كأنما شمسها تحت الغمام سنا
- والطلُّ فيها غداة القطر تحسبه
ماء الشباب وريقُ البارد الخضر
من الغمام مع الأصال والبكر
رداءُ الفين قد صاروا إلى وطر
أضحت تصعده نارٌ من الزهر
روحٌ يقيم سجود النجم والشجر
كأنه في سواد العين والشعر
نورَ البصيرة مقروناً مع البصر
وجبه تنفس في مرآته نضر
حلياً سقى زهر اللبّات بالسدر .

واهتم الشعراء بتصوير منتزهات قرطبة ومبانيها وقصورها وبساتينها، وما فيها من مظاهر الحضارة الساحرة . من ذلك قول ابن بقيّ في أحد منتزهات قرطبة (٩) :

- سقى الله بستان الزبير، ودام في
- هو الموضع الزاهي على كل موضع
- أهيمُ به في حالة القرب والنوى
مجاربه سيل النهر ما غنت الورق
أما ظله ضافٍ أما ماؤه دفق
وحق له مني التذكر والعشق .

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر أبي المطرف ابن أبي الحباب في وصفه منتزعه
المنية العامرية (١٠) :

- | | |
|---------------------------------|---------------------------------|
| - لا يوم كالיום في أيامنا الأول | بالعامة ذات الماء والظلل |
| - هوأؤها في جميع الدهر معتدل | طيباً، وإن حلَّ فصل غير معتدل |
| - ما إن يُبالي الذي يحتل ساحتها | بالسعد ألا تحلَّ الشمس في الحمل |
| - كأنما عُرس في ساعة وبدا ال | سوسانُ في حينه فيها على عجل |

ولم يكن وصف الشعراء لمظاهر الطبيعة الساحرة وصفاً جامداً، وإنما كانت
الطبيعة المأوى الدفيء الذي يجد الشاعر فيه الراحة والأمان، كلما طبقت عليه الحياة
بمساغلتها ومتاعبها المتلاحقة، كما نلاحظ في وصف أبي حفص لمنتزعه منية
الرصافة (١١) :

- | | |
|---------------------------|---------------------------|
| - سقى جوف الرصافة مُستهل | تُؤلفُ شمله أيدي الرياح |
| - محلُّ ما مشيتُ إليه إلا | مشى في ابتهاجي وارتياحي |
| - كان ترثم الأطيّار فيه | أغان فوق أوتار فصاح |
| - كان تنثني الأشجار فيه | عذارى قد شرّبن سلاف راح |
| - كان الجدول المنساب نصل | صقيلُ المتن هزَّ إلى كفاح |
| - كان رياضة أبرد وشي | تعطفُ فوق أعطاف ملاح |

وهكذا فقد صور الشاعر الأندلسي مدينته بكل ما فيها من علم وثقافة
وحضارة وإيمان، وصور طبيعتها بهوائها وأشجارها وطيورها وأنهارها وأزهارها
وما إلى ذلك، حتى لا يكاد يوجد شيء في قرطبة إلا وقد صورّه الشعراء أجمل
تصوير، فبدت قرطبة عروساً ساحرة الجمال، تنعم بما وهبه الله لها من نعم عظيمة
ودعة أثيرة .

غير أن هذه الحال لم تُعمّر طويلاً، فسرعان ما شبت الفتن والقلقل في أرجاء
المدينة، وأحالت نعيمها إلى جحيم، وتبدلت عروس الأمس بعجوز شمسطاء
حيزبون، وهكذا فقد أشاحت المدينة بوجهها المشرق الجميل عن قوم لم يقدرُوا هبة
الله لهم، فطحنتهم نار الفتن والحروب، كما طحنت كل جميل في مدينتهم، حتى إذا ما

أفاقوا من هول مصيبتهم وتحسسوا وجه مدينتهم تحسسوا وجهاً آخر تعلقوه قسّامات الحزن والفقد والضّياح : إنه الوجه الآخر للمدينة . فعاشوا على اجترار الذكريات الجميلة الدائرة، والتحسّر على ما فاتهم من نعيم، يبدو أنهم لم يكونوا أهلاً له، فقصّروا في المحافظة عليه، كما قصّروا في المحافظة على مدينتهم قرطبة .

وهكذا ينعرج بنا الحديث لتناول الوجه الآخر لمدينة قرطبة، كما صوّره شعراؤها بعد الفتنة البربرية، وما خلفته من آثار سلبية انعكست كلها في مرآة الشعر .

الفتنة البربرية (١١ ربيع الأول ٤٠ هـ)

عندما تزعم سليمان (المستعين) - وهو أموي - البرابرة، وكانوا قد تحالفوا مع النصارى، وقصد سليمان أن ينتزع الخلافة من المهدي، واجتمع البرابرة معه لمحاربة قرطبة، اندفع أهل قرطبة نحو البربر، فاستدرجهم هؤلاء وأوسعوهم تقتيلاً وتكثيلاً، فأبادوا كثيراً من أهل قرطبة، وهرب المهدي إلى طليطلة، واستعز بالفرنج، لكن سليمان كان قد استولى على قرطبة، وأقام فيها سبع سنوات كانت كلها سنوات بلاء وقهر وعذاب لأهل قرطبة، وخراب وتدمير للمدينة (١٢) طال كل مجالات الحياة في قرطبة .

وقد صوّر ابن درّاج حدث هذه الفتنة أجمل تصوير فتحدث عنها " متصوراً أنها كانت (عهد جاهلية) تستقيم فيه الأزلام وأن المهجات كانت هي الجزور المجزأ لضرب القداح وأن النفوس كانت هي القربان المدمى على الأنصاب، ولكنه لا يحمل مسؤولية إنساناً بعينه، لأنه حام حول جميع الذين ارتثوا نارها أو حاولوا الإفادة منها :

والدهر ينسج لي ثياب سلابي
فقدُ الشَّبَاب وفرقة الأحاب
فينا إلى أمِّ له وكتاب
هماً إلى قلبي سرى فسرى بي
دون الإله مضلة الأرباب
وتسيّل أنفسنا على الأنصاب

- فسكرت والأيام تسلبُ جدتي
- سكرين من خمر كأن خمارها
- لمدى تناهى في الغواية فأنتهى
- وهوى نقاصر بالمنى فإطال بي
- في جاهلية فتنة عبت بها
- تستقسم الأزلام في مهجاتنا

- غيراً من الأيام أصبح ماؤها
 - وبوارقاً للغي أضرم نورها
 غوراً وأعقب صفوها بعقاب
 ناراً وصاب غمامها بالصاب " (١٣) .

وهكذا لم يقف الشعراء موقفاً سلبياً إزاء اضطراب الأحوال في مدينتهم بشكل خاص، والأندلس بشكل عام، فظلوا يحذرون الأندلسيين من المصير المفزع الذي ينتظرهم، وأخذوا يستصرخون الملوك والحكام لنجدة البلاد، ويستنهضون عزائمهم لجهاد الأعداء، لكن صرخاتهم ذهبت أدراج الرياح، فقد اتسع الخرق وعمت الفتن وسقطت قرطبة، ثم توالى سقوط المدن الأندلسية واحدة تلو الأخرى بصورة مؤلمة فاجعة.

وقد أذكت هذه المحنة لوعة الشعراء واستثارت قرائحهم، فبكا شعراء قرطبة من أمثال : ابن حزم، وابن درّاج، وابن شهيد، وابن زيدون مدينتهم الحزينة، فبكوا بكاءً حاراً وتَفَجَّعوا على ضياعها تَفَجَّعاً أليماً، فوصفوا حال المدينة بعد خرابها وهلاك أهلها وتشردهم في أصقاع الأرض . فقد كانت قرطبة قطعة من الفردوس، فأصبحت قطعة من جحيم، لكثرة ما لقيت من دمار وتخریب وتقتيل، وكما وصفها أحد الشعراء بقوله :

- كانت على الغاية من حسنها وعيشها المستعذب اللين

- فاتعكس الأمر فما إن تسرى بها سروراً بين اثنين .

والمتمامل في شعر هذه المرحلة من تاريخ قرطبة يلحظ فيه مجموعة من السمات الأساسية، لعل أظهرها وأكثرها دورانا على ألسنة الشعراء ما اتصل باجتراح ذكريات الماضي السعيد في أحضان قرطبة الدفيئة، وتصوير حاضرها المتداعي، وما أصابها من خراب وتدمير وضياع، فأبرز الشعراء ثنائية الماضي والحاضر، وتلك المفارقة الساخرة بينهما، وفي ظل هذه المفارقة تنمو قصائد الشعراء كاشفة عما يمور في حناياهم من مشاعر وعواطف ورؤى تجاه مدينتهم بوجهيها : القديم المشرق، والجديد المظلم .

ولعله من الطبيعي أن يطرح الشعراء السؤال الكبير حول علة سقوط المدينة في قصائدهم باحثين عن تفسير ما لهذه المفارقة الساخرة التي أصابت مدينتهم، وقد

تراوحت رؤى الشعراء في هذا ما بين رؤية سطحية لا تكشف عن وعي حقيقي للمشكلة، ورؤية عميقة تستشعر القضية من جذورها وتتلمس العلة الحقيقية لسقوطها فمن الرؤية الأولى مثلاً ما راه أحد شعراء قرطبة المجهولين من أن المدينة قد " أصيبت بالعين " من عين حسود حاقدها رأى كمالها وبهاءها، فكانت نظرته تلك كالزلزال الذي دكها ودمرها، وكان الدهر كان قد أعار المدينة كل محاسنها وجمالها ثم استرجع ما أعاره كله فطمس معالمها ومحا آثارها :

- إبك على قرطبة الزين فقد دهتها نظرة العين
- أنظرها الدهرُ بأسلافه ثم تقاضى جملة الدين
- كانت على الغاية من حسنها وعيشها المستعذب اللين
- فاتعكس الأمر فما إن ترى بها سروراً بين اثنين
- فاغذُ وودعها وسر سالمأ إن كنت أزمعت على البين^(١٤)

وهي رؤية لا تتلمس حقيقة المشكلة، بقدر ما تعكس، في جانب منها، جانباً من تفكير المجتمع الأندلسي المؤمن بالمغيبات والما ورائيات والذي يردُّ في أصوله إلى الموروث الشعبي . وهي رؤية استسلامية انهزامية، (لعل الأندلسيين أورتوها لدعاة السلام الحاليين نون قصد) . ولكنها على أية حال رؤية تستوحى جزءاً من تفكير المجتمع في جذوره الشعبية الموروثة .

وفي مقابل هذه الرؤية نجد الرؤية الأخرى التي تستشعر علة سقوط المدينة الحقيقية بوعي وجرأة ودقة، والمتأمل في مثل هذه الرؤية يلحظ أنها غالباً تنسب إلى شعراء مجهولين، ولا أدلّ على ذلك من مرثية طليطلة المشهورة^(١٥)، ولعل ذلك يردّ إلى المشكلة ذاتها، أعني علة سقوط المدينة، وما حاق بها من ظروف القهر والتعذيب حتى أضحي المرء لا يأمن فيها على نفسه إذا نطق بالحقيقة .

من هنا نقول : لعل هذه القصائد المنسوبة لشعراء مجهولين إنما هي لشعراء معروفين، لكنهم أثروا عدم التصريح بأسمائهم خشية على أنفسهم .

ومما يصور هذه الرؤية حول علة سقوط قرطبة هذه الأبيات لشاعر مجهول

يقول فيها :

- أضعتمُ الحزمَ في تدبير أمركمُ ستعلمون معاً عقيب البوار غدا
 - لكن سبل العمى أعمت بصانركم فالبستكم ثياباً للبلوى جددا
 - يا أمة هتكت مستور سوءتها ما كل من ذل أعطى بالصغار يدا (١٦).

لعلّ هذه الأبيات تلامس كبد الحقيقة، وتفتح المجال رحباً لاستشعار جملة الظروف والعوامل التي أسهمت في سقوط المدينة حقاً . ومن هذه العوامل كما يذكر الشاعر : تهاون أهلها وتقصيرهم في تدبير أمورهم، ومن هنا نرى الشاعر يسخر من قومه هذه السخرية المريرة، ويصوغ نبوءته بالمستقبل المظلم الذي ينتظرهم غداً، وقد كشفت الأيام التالية صدق هذه النبوءة، حين توالى سقوط المدن الأندلسية، حتى غربت شمس الأندلس كلها غروباً نهائياً .

قرطبة في وعي شعرائها المشهورين

يحسن بنا قبل استشراف نهاية هذه الدراسة المتواضعة أن نتوقف قليلاً عند بعض شعراء قرطبة المشهورين أمثال ابن حزم، وابن شهيد، وابن درّاج، وابن زيدون، بغية استوضح صورة قرطبة في وعي شعرائها، وتلمس المعاني والرؤى التي جالت في حناياهم، فانعكس بعضها في أشعارهم . واستتر البعض الآخر في نفوسهم لظروف سياسية على الأرجح .

وبداية نتناول ابن حزم بوصفه كان أكثر الشعراء " تأثراً بالفتنة وأعظمهم إحساساً بالتغير الذي أحدثته . لأنها فاجأته وهو شاب في ظل النعيم وحياة القصور، وأخرجته من نعمته وثرائه ووطنه، وغيّرت مجرى حياته . حتى أن الناظر إلى حال ابن حزم في نشأته الأولى وحاله بعد خراب قرطبة، ليدهش لما أصاب خط حياته من انكسار، غير أنه لم يتخاذل للانقلاب ما استنقذ نفسه من إفسار الماضي وتجلد بقوة وهو ينظر إلى المجد الزائل " (١٧) .

والمأمل في طوق الحمامة يلحظ أن ابن حزم قد قال نثراً وشعراً كثيراً (١٨) في قرطبة، والذي يعيننا هنا شعره، فمن ذلك مثلاً قوله :

- سلامٌ على دار رحلنا وغدرت خلاء من الأهلين موحشة قفراً
 - تراها كأن لم تغن بالأمس بلقعاً ولا عمرت من أهلها قبلنا دهنراً

- فيا دار لم يفكر منا اختيارنا
- ولكن أقداراً من الله أنفذت
- فيا خير دار قد تركت حميدة
- ويا دهرنا فيها متى أنت عائد
- سأندب ذلك العهد ما قامت الخضراء على
- الناس سقفاً واستقلت بنا الغبرا (١٩)

ومن جملة ما يلحظ في هذه الأبيات إحياء ابن حزم بعلّة سقوط قرطبة إحياءً وتلميحاً لا تصريحاً وتوضيحاً، مستلهماً روح الثقافة الدينية والحس الإيماني في قوله

(ولكن أقداراً من الله أنفذت ...) . فعمل الشاعر هنا يلمح إلى أن إقصاء العامل الديني والحس الإيماني من نفوس الناس لا شك أنه يقتضي غضب الله، وتفضيل أمره فيهم .

فالأذنب والمعاصي تجر المصائب . ولعل ابن حزم يرى أن ما لحق قرطبة من دمار وخراب إنما هو بسبب الذنوب التي اقترفتها أهلها " إذ لا مجال للشك أن الأدب الأندلسي كان يتنفس في جو مشبع بالثقافة الدينية التي لا يتمثل تأثيرها في فن الهجاء وحسب، بل هي تبدو بكل مظاهرها - على نحو طبيعي - في أشعار الزهاد والأتقياء، كما تتجلى في مواكبة الشعر لحركة الجهاد والتحريض على اليقظة " (٢٠) .

ومما يلحظ في الأبيات أيضاً إصرار الشاعر على إبراز المفارقة الساخرة من خلال ثنائية الماضي والحاضر، وتفجّعه على ذلك الماضي الغابر، وطلبه السقيا للديار . وهي المعاني التي أشرت إليها من قبل، والتي سنلاحظها عند أغلب الشعراء . ويبدو ابن حزم في هذه الأبيات مستسلماً مستكيناً يندب " ذلك العهد كما تندب النساء . وكان يُنظر منه، أديباً وفاقياً، أن يستهض الهمم، ويستوقد الجدوة الإيمانية في نفوس الناس، لا أن ينكفي على نفسه، ويمضي في لحظات استغراقية تأملية عميقة تفيض بما يملأ نفسه من حنين وألم وتفجّع، كما يوحى بذلك قوله :

- لبت الغراب يعيد اليوم لي فصسى يبين بينهم عني فقد وقفنا
- أقول والليل قد أرخى أجليته وقد تألى بالآ ينقضي فوقني

- والنجم قد صار في أفق السماء فما يمضي ولا هو للتغيير منصرفا
- تخاله مخطئا أو خائفا وجلأ أو راقبا موعدا أو عاشقا دنفا^(٢١)
ولعل انكفاء الشاعر على ذاته، واستغراقه في هذه اللحظات التأملية في الوجود، ومظاهر الطبيعة، وشعوره بديمومة الليل، وحيرة النجم في السماء وقلقه وترقبه يوحى بالحالة النفسية للشاعر ذاته، وما يعتورها من أحاسيس القلق والخوف والاضطراب، وإحساسه العميق بهول الفاجعة التي ألمت بمدينة أهلها وما آل إليه حالهم من نزعات نفسية عنيفة بفعل وطأة الواقع المعيش، وعدم قدرتهم على تحمله، فانكفا المرء فيهم على نفسه وغرق في تأملاته الذاتية " تخاله مخطئا أو خائفا أو راقبا موعدا أو عاشقا دنفا " .

أما ابن شهيد فلم تكن حاله بأفضل من حال صاحبه ابن حزم، إذ " كانت نكبة قرطبة حادثا جللا بالنسبة لابن شهيد، لأنها هوت بالمجد العامري، وقضت على الأيام السعيدة في ظل العامريين، وكانت نشأة أبي عامر، ابن شهيد لا تقويه على الكفاح والمغامرة من جديد لنعمتها أولا، ولقرفه الشديد من تقلبات الأيام في المهاجر، فبقي في قرطبة ينظر إلى معاهدها الدارسة في أسى، ويبيكي قصورها ومنتزهاتها " (٢٢) وله في رثائها قصيدة مشهورة، تفيض بمعاني الألم والتحسر على الماضي السعيد، والتفجع على الحاضر الأليم، تلفعها أنغام الأسى والحزن وتصدح بإيحاءات الموت والفناء الذي أسدل ستائره على مجد قرطبة وماضيها السعيد :

- ما في الطلول من الأحبة مُخبرُ
فمن الذي عن حالها نستخبرُ ؟
- لا تسألنّ سوى الفراق فباته
يتبيك عنهم أنجدوا أم أغوروا
- جار الزمان عليهمُ فتفرقوا
في كل ناحية وباد الأكرُ
- جرت الخطوب على محلّ ديارهم
وعليهم فتغيرت وتغيروا
- يا جنة عصفت بها وبأهلها
ريح النوى فتدمرت وتدمروا
- يا منزلا نزلت به وبأهله
طير النوى فتغيروا وتكروا (٢٣)

هذه هي قرطبة بوجهها الجديد بعد الفتنة - كما يراها ابن شهيد، والشاعر كغيره من شعراء قرطبة لم يستطع فكاكا من ماضيه فيها، ولذلك ظلت صور هذا

الماضي وذكرياته تتقل ذاكرته، فنراه لا يفتأ أن ينكفي على هذا الماضي يجترّ ذكرياته الوردية كنفيس مطلق لحاضره، فتتمو القصيدة بسين ثنائية الماضي والحاضر، مبرزة مفارقة ساخرة بين طرفيها :

- عهدي بها والشملُ فيها جامعٌ
 - ورياح زهرتها تلوح عليهم
 - والدار قد ضرب الكمال رواقه
 - والقوم قد أمنوا تغيرَ حسنها
 - يا طيبهم بقصورها وخذورها
 - والقصرُ قصرُ بني أمية وافرٌ
 - والزاهية بالمرائب تزهرو
 - والجامع الأعلى يغصُّ بكل من
 - ومسالك الأسواق تشهد أنها
- من أهلها والعيش فيها أخضرُ
بروائح يفتُرُ منها العنبرُ
فيها وباعُ النقص فيها يقصُرُ
فتعمّموا بجمالها وتآزروا
وبدورها بقصرها تتخدرو
من كل أمر والخلافة أوفرُ
والعامرية بالكواكب تُغمَرُ
تبلو ويسمع ما يشاء وينظرُ
لا يُستقيلُ بسالكها المحسّرُ (٢٤)

تلك هي جنة الشاعر التي عصفت بها وبأهلها ريح النوى، تلك هي قرطبة الأمس بجمالها وبهائها وقصورها وأسواقها ومساجدها وأهلها، كما انعكست في مرآة ابن شهيد، وفقدتها كان فاجعة كبرى لم يقوَ الشاعر على احتمالها، أو تصورها . من هنا نراه راح ينفث آهاته الحارة وزفراته الحارقة أسفاً وأسى على ما فاتته من نعيم، وما حلَّ بمدينته وأهلها من تقئيل وتعذيب وتشريد حتى كاد قلبه أن يتفطر :

- آسى عليك من الممات وحقّ لي
 - كانت عراصك للميمم مكية
 - أسفي على دار عهدت ربوعها
 - أيام كانت عين كل كرامة
 - أيام كان الأمر فيها واحداً
 - أيام كانت كف كل سلامة
 - حزني على سرواتها ورواياها
 - نفسي على آلائها وصفاتها
- إذ لم نزل بك في حياتك نفخرُ
ياوي إليها الخائفون فينصروا
وظباؤها بفنائها تتبخترُ
من كل ناحية إليها تنظرُ
لأميرها وأمير من يتأمرُ
تسمو إليها بالسلام وتبدرُ
وثقاتها وحماتها يتكرّرُ
وبهائها وسنائها تتحسّرُ

- كبدي على علمائها وحلماتها أدباتها ظرفاتها تتفطر^(٢٥) .
وهكذا تتبلور عناصر المدينة، فقد كانت مهذا للصفاء والأمان ومحبا للفاصدين والخائفين، وحاضرة للعلم والدين والسيادة، وضياعها كان قاصمة كبرى لكل هذه العناصر وإذلالها، ولاسيما العنصر الإيماني والعلمي . فخبث جذوة الدين، وفهر الحس الإيماني في النفوس، وطمست بؤر العلم والثقافة والمعرفة . وأمام هذه الفاجعة الكبرى يقف الشاعر مشدوها لا يملك إلا أن يذرف الدموع السخية على مدينته وعناصرها التي ذلها الكفر واستباح حرمتها، فانقلبت الحال وتبدلت الأحوال :

- فلمثل قرطبة يقلُّ بكاءً من يبكي بعين دمعها متفجّر^(٢٦)
- فراقٌ وسجنٌ واشتياقٌ وذلةٌ وجبارٌ حفاظٌ على عتيدٌ
- فمن مبلغ الفتيان أني بعدهم مقيمٌ بدار الظالمين طريدٌ
- مقيمٌ بدار ساكنوها من الأذى قيامٌ على جمر الحما فعودٌ
- ويسمع للجتان في جنباتها بسيطٌ كترجيع الصدى ونشيد^(٢٧)

ورغم ذلك كله فإن الشاعر لا يتخلى عن مدينته، وإن أصبحت داراً للكفر والظلم، بعد أن كانت داراً للإيمان والعدل والسلام، وكما تمسك بها وهي عروس فتية ساحرة، فإنه يتشبث بها وهي عجوز شمطاء متغيرة الريح والهوى، ساقطة الأسنان، زانية بالرجال، فهي حبه وهواه، وقدره المحتوم الذي لا يستطيع منه فكاكاً :

- عجوزٌ لعمراً الصبا فانية لها في الحشا صورة الغاية
- زنت بالرجال على سيئها فيا حبذا هي من زانية
- ثريك العقول على ضعفها تدارُ كما دارت الساتية
- فقد عنيت بهوائها الحلو مُ فهي براحتها عاتية
- تقاصرُ عن طولها قونكة وتبعد عن غتجها دانية
- ديتُ من حزن عيشي بها غراماً فيا طول أحزانية^(٢٨) .

أما ابن درّاج فقد كان هو الآخر من ضحايا فتنة قرطبة، إذ انعكست آثار النكبة على أحواله النفسية والمادية والاجتماعية والعائلية، تماماً كما انعكست هذه الآثار المدمرة على قرطبة نفسها، وطالت كل مجالات الحياة فيها . من هنا نراه في

قصائده بين الاستبشار والخيبة، بين شكوى الحال والتكفف الضارع، بين تصوير حال أطفاله وزوجه وحال الممدوحين، وقد سخرت الأيام سخرية مريرة بابن درّاج (٢٩)، وتقاذفته رياح التشرّد والفقر والقهر في أصقاع الدنيا، فانكسر عفوان نفسه، وأطبقت على صدره وطأة هذا الواقع المعيش، ومن هذا المعين الدامي كان يفيض شعره، وتتوضح قسّمات مدينته بصورتها الحزينة المفجوعة بأهلها الذين أصبحوا نهياً للموت والنقتيل، ونسائها التكلّى المتشحات بثياب الحداد والأسى، وحرّاثها المستباحات الأعراض، يعيونهن الراعشة المبلولة الأطراف:

- ومن دوننا آسأت الديار
 - مغاتي السرور لبسن الحداد
 - خطيبات خطب النوى والمهور
 - فمن حرّة جليّت بالجلاء
 - ولا حليّ إلا جمانُ الدموع
 - تسيل على كل خدّ أسيل (٣٠)

تصور هذه الأبيات حال المرأة في قرطبة وما أصابها من موت وفقد وثكل. والثكل " هنا حالة تصيب المرأة، فالفقد والثكل كلاهما يسبب الحزن والألم . وكلا اللفظتين تعملان على فقد الصلة بإشراقات الحياة . والثكل يرادف اليتيم وهوان الحال، والسقوط للمدينة يعني استباحة الحمى ونشر ما هو طيّ السر والكتمان " (٣١) ومن هنا فقد استبيحت الأعراض وهتكت المحرمات وفقد الأبناء والأزواج، فابتلت العيون بالدموع، وتقطرت القلوب، فلم يعد في قرطبة متنفس لسعادة أو فرح أو حب . وكان الشاعر يرمي للإيحاء بفناء الروابط الإنسانية المنتجة، ولاسيما الروابط الزوجية بتصويره لهذه الصورة للمرأة التكلّى، فلا حياة ولا استمرار للجنس البشري إلا بوجود الرجل إلى جانب المرأة، وتظل المرأة بفقد الرجل شجرة غير مثمرة، وكان الشاعر يريد أن يقول : إن سقوط قرطبة أدى - أو سيؤدي - إلى فناء الوجود الإنساني فيها إذا استمرت هذه الأحوال .

وفوق ذلك كله إيجاد جيل من النساء المسلمات دون أزواج أو أبناء، فيستبيح الكفرُ أعراضهن ويستولدهن جيلاً من ملة الكفر يحل محل الجيل المسلم المباد .

ولعل ذلك كله يفسر إلهام الشاعر على تصوير المرأة، والمرأة الثكلى بهذا الشكل الفاجع .

وعندما تقاذفته رياح النكبة، وألقت به في سرقسطة لم ينس ابن دراج مدينته قرطبة، رغم ما أصابها وأصابه من عذابات السقوط والتشرد، فقد ظل حينه الدافق جياشاً لربوعها ومعانقة ترابها، فقال مخاطباً الذاهب إليها :

- واجنح لقرطبة فعاسق ثربها عني بمثل جوانحي وترايبي
- وانشر على تلك الأباطح والربى زهراً يخبر عنك أنك كاتبى (٣٢) .

أما ابن زيدون فقد نال هو الآخر حظه من العذاب والتشرد بسقوط قرطبة . وقد ارتبطت المدينة لديه بذكرياته الوردية مع حبيبته (ولأدة) التي قضى معها أجمل لحظات حبه في أحضان الطبيعة الساحرة في قرطبة وغرتها الزهراء :

- أني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً والأفق طلق ومرأى الأرض قد رافا
- وللنسيم اعتلال في أصائله كأنه رق لي فاعتل إشفاقا
- والروض عن مائه الفضى مبتسم كما شقت عن اللباب أطواقا
- نلهو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال أعناقا
- يوم كأيام لذات لنا انصرمت بتنا لها حين نام الدهر سراقا (٣٣)

فالشاعر يجعل من هذا المنظر الطبيعي الرائع في أحضان الزهراء صورة للماضي السعيد في ظل المحبوبة ولأدة محققاً المفارقة الحادة بين ذلك الماضي والحاضر الذي طوى كل جميل، وأحال الجنان إلى جحيم، ففقدت الحياة رونقها بفقد الحبيبة وضياع مدينتها، ولذلك راح يتحسر على ضياع قرطبة، وذكرياته الجميلة فيها:

- أقرطبة الغراء هل فيك مطمع ؟ وهل كبت حرى لبنيك تنقع ؟
- وهل للياليك الحميدة مرجع ؟ إذ الحسن مرأى فيك واللهو مسمع
- وإذ كنف الدنيا لديك موطأ أليس عجيباً أن تشط الندى بك
- فأحيا كان لم أنس نفع جنابك ولم يلتئم شعبي خلال شعابك
- ولم يك خلقى بدؤه من ترابك ولم يكتنقني من نواحيك منشأ (٣٤) .

يبدو الشاعر مشدوهاً في هذه الأبيات (من الموشح) بـليل كثيرة التساؤلات، فهو لا يكاد يصدق^(٣٥) أن ذلك النعيم قد طوته رياح النوى، هذا النعيم الذي طالما التذبه في أفياء قرطبة الغناء، وأكثر من هذا، وأعرق منه دلالة إحساسه العميق بأن المدينة تتحل في ذرات جسده، ليصبح هو بعضاً من ترابها، وتصبح هي ذرات جسده في نشأتها الأولى (ولم يك خلقي بدؤه من ترابك، ولم يكتفني من نواحيك منشأ)، إنه الحلول الصوفي، والتوحد الأبدي مع المدينة، فالشاعر لا يستطيع أن يتصور وجوده خارج إطار مدينته، وكيف يفصل عنها وترابها يشكل ذرات جسده؟! وهل يفصل الجسد عن بعضه؟! إنه السؤال الذي لم يستطع الشاعر الإجابة عنه، لذلك كان قعدُ المدينة مسألة فوق الاحتمال أو التصور.

هذه هي قرطبة بالنسبة للشاعر الأندلسي، حلول واتحاد صوفي ... اندماج وانصهار أبدي، فمن الصعب أن تغادر صورتها أفق الشاعر، أو ينسى أيامه وذكرياته الجميلة في مرابعها :

- أ أنسى زماناً بالعقاب مغفلاً

- وعيشاً بأكناف الرُصافه دغفلاً

- ومغنى إزاء الجعفرية أقبلاً

- نعم مرادُ النفس روضاً وجدولاً ونعم محلُ الصبوة المتبؤاً^(٣٦).

وعندما أفاق الشاعر من صدمته وتحسس واقعه المعيش أدرك هول المأساة التي أصابت مدينته قرطبة، فراح يبكيها بكاءً سخياً :

- معاهدُ أباكيها لعهد تصرماً أغض من الورد الجنى وأنعماً^(٣٧).

ويستشعر قسوة الزمان الذي جار عليه وعلى مدينته، بنغمة تصدح بالموت والفناء والحزن والأسى، حين وجد نفسه في واقع جديد تنقله المصائب والنوائب، ولا يملك إزاءه إلا الانكفاء على الذات، والاستغراق في ليل طويل بطيء الكواكب، يعزي نفسه بالأمانى الكوانب :

- رميتي الليالي عن قسيّ النوائب

- فما أخطاتني مُرسلاتُ المصائب

- أفضى نهارى بالأمانى الكواذب

- وأوى إلى ليل بطيء الكواكب وأبطأ سار كوكبٌ بات يكلاً (٢٨) .

هذه هي قرطبة وتلك هي صورتها بشكل موجز، كما تجسدت في وعي الشاعر الأندلسي، قطعة من جنة الله على الأرض، لم يُحسن أهلها تدبير أمرها، فجنوا عليها وعلى أنفسهم، فأخرجهم الله منها، فراحوا يجترونها ذكريات الماضي المجيد ويندبون حظهم كما تتدب النساء، فاكتوا بنار فقديها، وعفت عليهم رياح النوى، فهلاً اتعظ غيرهم !؟ .

خاتمة

إن المتأمل في مرآة الشعر الأندلسي يلحظ أن المدينة / قرطبة تراعت فيه صورتين متباينتين تماماً . ففي الصورة الأولى بدت المدينة بوجهها المشرق نوهاج . وقد رصد الشعر أهم خصائصها الحضارية والعلمية والإيمانية والطبيعية والجمالية . ولحظ أن وصف الشعر لهذه الخصائص لم يكن وصفاً جامداً محايداً، بل كشف عن ذلك التفاعل العميق بين الشاعر ومدينته، وصور كيف أن المدينة كانت تتحلل في ذرات جسد الشاعر حتى يصبح بعضاً من ترابها وتصبح هي ذرات جسده في نشأتها الأولى .

أما في الصورة الأخرى، فتبدو المدينة بوجهها القاتم المظلم بعد أن نهشتها نيباب الفتنة وعمتها القلاقل والحروب، فشرد أهلها، ودُمِر مجدها . فبعد أن كانت طعة من فردوس أصبحت قطعة من جحيم . فراح الشعر يصور هذه المفارقة باخنة بين ماضٍ جميل مشرق وحاضر زميم قاتم بأنغام تصدح بأنات الألم والحزن والتحسر والتفجع واجترار الذكريات السعيدة الدائرة، وتصوير ما آلت إليه أحوال المدينة وأهلها من خراب ودمار وتقتيل وتدمير لقيم المدينة الإيمانية والروحية والحضارية والعلمية .

كما لحظ في بعض أنغام هذا الشعر صرخات الاستغاثة واستصراخ الملوك والحكام لنجدة المدينة، والتحذير من المصير المفزع الفاجع الذي ينتظرهم، لكن كل

هذه الصرخات ذهبت أدراج الرياح، حتى سقطت المدينة وتوالى سقوط المدن الأندلسية الأخرى .

وفي غمرة هذه الفاجعة والصدمة العميقة لسقوط المدينة لم ينس الشعراء البحث أو محاولة تفسير علة سقوط المدينة، فأعادها بعضهم، في نظرة سطحية ساذجة إلى (العين) التي أصابت المدينة فدمرتها . وهذا يكشف، بدوره، عن طبيعة الموروث الشعبي للمجتمع الأندلسي، ويعكس جانباً من تفكيره المؤمن بالمغيبات والماورائيات . وهي رؤية استسلامية انهزامية لم تتبين العلة الحقيقية لسقوط المدينة.

أما البعض الآخر، فأعاد علة سقوط المدينة إلى إقصاء العامل الديني والحس الإيماني من نفوس الناس الذي تساند، بدوره، مع جملة أخرى من الظروف والعوامل نحو : تهاون أهلها وتقصيرهم في تدبير أمورهم وأمور مدينتهم . وهذا يشير إلى أن الأدب الأندلسي كان يتنفس في جو مشبع بالتقافة الدينية والإيمانية، التي تمثل تأثيرها في مثل هذه الأشعار، وتجلت، خاصة، في مواكبة الشعر لحركة الجهاد والتحرير على الوعي واليقظة، وفي شعر الهجاء وشعر الأنتقياء والزهاد .

وأخيراً فقد توقف البحث عند أهم شعراء قرطبة أمثال : ابن حزم، وابن شهيد، وابن دراج، وابن زيدون، وحاول أن يستكنه تجليات المدينة في وعي هؤلاء الشعراء وأبعادها الموضوعية والدلالية من خلال رصد البنيات الدالة في شعر كل واحد منهم، ومحاولة الإمساك بمكامنها الإيحائية ولحظاتها الجمالية .

الهوامش

- ١- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، إحسان عباس، ط٦ : ٢٠
- ٢- أنظر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس / سلمى الجبوسي، ١٩٩٨: ١٩٩
- ٣- في الشعر الأندلسي / عدنان صالح مصطفى، الدوحة : ٣٩ .
- ٤- نفع الطيب، ج١ : ٥٨٠ .
- ٥- نفع الطيب، ج١ : ٦١٦، ١٥٣ .
- ٦- المرجع نفسه، ج١ : ٤٥٩ .
- ٧- المرجع نفسه : ١٥٥ .
- ٨- الذخيرة ١/٣ : ٤٤٤ .
- ٩- نفع الطيب، ج١ : ٤٧٢ .
- ١٠- نفع الطيب، ج١ : ٥٨٢ .
- ١١- الذخيرة ١/١ : ٥١٩ .
- ١٢- أنظر الذخيرة ٢/١ : ١١١ .
- أنظر طوق الحمامة : ١١١، ١١٧، ١١٨ .
- ١٣- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ٢٥٣ - ٢٥٤ .
- ١٤- أنظر : - البيان المغرب (ج٣) : ١١٠ .
- الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي / جمعة شيخة، ١٩٩٤ : ٨-٩ .
- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس / سلمى الجبوسي : ٢٠١ .
- ١٥- أنظر المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عدد ٢٨، خريف ١٩٩٩، مقال للدكتور حسين خريوش بعنوان : بنية التراث الروحي والاجتماعي في مرثية طليطلة .
- ١٦- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ١٤٠ .
- ١٧- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ٣٠٣ .
- ١٨- أنظر على سبيل المثال ما قاله نثراً في قرطبة، طوق الحمامة : ٩٤ .
- ١٩- عن / تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ١٣٩ - ١٤٠ .
- ٢٠- دراسات في الأدب الأندلسي / إحسان عباس، ط٢ : ١٠ .
- ٢١- طوق الحمامة : ٩٥ .
- ٢٢- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ٢٧٤ .

- ٢٣- ديوان ابن شهيد، تحقيق: يعقوب زكي : ١٠٩ - ١١٠ .
- ٢٤- ديوان ابن شهيد : ١١٠ .
- ٢٥- ديوان ابن شهيد : ١١٠ - ١١١ .
- ٢٦- ديوان ابن شهيد : ١٠٩ .
- ٢٧- ديوان ابن شهيد : ١٠٠ .
- ٢٨- ديوان ابن شهيد : ١٦٨ .
- ٢٩- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ٢٥٧ .
- ٣٠- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ٢٤٩ .
- ٣١- المجلة العربية للعلوم الإنسانية / حسين خريوش (بتصرف)، مرجع سابق : ٨٤ .
- ٣٢- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ٢٥١ .
- ٣٣- ديوان ابن زيدون، تحقيق: حنا الفاخوري، ١٩٩٠ : ٣٩٨ - ٤٠٠ .
- ٣٤- ديوان ابن زيدون : ٤٨٠ - ٤٨١ .
- ٣٥- يجوز القول : (لا يكاد يصدق) .
- ٣٦- ديوان ابن زيدون : ٤٨١ - ٤٨٢ .
- ٣٧- ديوان ابن زيدون : ٤٨٤ .
- ٣٨- ديوان ابن زيدون : ٤٨٠ .

المصادر والمراجع

- ١- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، (تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، ١٩٧٩) .
- ٢- ابن حزم، طوق الحمامة، (تحقيق، حسن كامل السيرفي، القاهرة، د.ت.)
- ٣- ابن زيدون، الديوان، (تحقيق : حنا فاخوري، ١٩٩٠) .
- ٤- ابن شهيد، الديوان، (تحقيق : يعقوب زكي) .
- ٥- الأوسي، علي حكمت، فصول في الأدب الأندلسي، (بغداد، ١٩٧١) .
- ٦- التلمساني، الشيخ أحمد بن محمد، نفع الطيب (ط١، ١٩٨٦) .
- ٧- الجيوسي، سلمى، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، (١٩٩٨)
- ٨- خفاجة، عبد المنعم، قصة الأدب في الأندلس (١-٢) بيروت، ١٩٦٢
- ٩- خريوش، حسين، "بنية التراث الروحي والاجتماعي في مرثية طليطلة"، المجلة العربية للعلوم الإسلامية، عدد ٢٨، خريف ١٩٩٩ .
- ١٠- دقاق، عمر - شعراء العصابة الأندلسية في المهجر، بيروت، دار الشرق، ١٩٧٣ - ملاح الشعر الأندلسي، بيروت، دار الشرق العربي، ١٩٧٣ .
- ١١- الركابي، جودت، الطبيعة في الشعر الأندلسي، دمشق، ١٩٧٠ .
- ١٢- الشكعة، مصطفى، الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه) ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣ .
- ١٣- شيخة، جمعة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي (١٩٩٤)
- ١٤- عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) ط٦، د.ت.)
- ١٥- مصطفى، عدنان صالح، في الشعر الأندلسي (الدوحة، ط١، د.ت)